مترجم

حملة "الضغط الأقصى" تدفع إيران للتشدد في المفاوضات

إعداد: هادي كحلزاده

المصدر: The Foreign Affairs Reader

15 آذار 2021

تقييم

يرى الكاتب أن العقوبات القاسية التي فرضها ترامب والتي لا تزال مستمرة حتى الآن قد تكون قوضت بشكل نهائي امكانية التفاوض مع ايران وتحصيل موقف ليّن وتحقيق تنازلات من قبلها، بالعكس تمامًا فإن زيادة النمو الإقتصادي المتوقعة عام 2021 من قبل صندوق النقد الدولي تعني أن ايران أيضًا ليست بحاجة للغرب ولا للشراكة معه.

الترجمة

أدت العقوبات إلى تقلص الطبقة الوسطى وتمكين الحرس الثوري

أرسل المرشد الأعلى لإيران، آية الله علي خامنئي، بعض الرسائل المتضاربة على ما يبدو حول نوايا بلاده فيما يتعلق ببرنامجها النووي. في أوائل فبراير، تعهد بأنه بمجرد أن ترفع الولايات المتحدة العقوبات الاقتصادية تمامًا، ستعود إيران إلى الامتثال الكامل للاتفاق النووي لعام 2015. لكن بعد أسبوعين فقط، أعلن خامنئي أن إيران قد تخصب اليورانيوم بنسبة تصل إلى 60 % إذا احتاجت إليه. علاوة على ذلك، قدم دعمه لقانون جديد في البرلمان الإيراني يضع حداً لعمليات التفتيش التي تقوم بها الوكالة الدولية للطاقة الذرية للمنشآت النووية في البلاد.

إيران ليست مجرد لعبة صلبة. موقفها المتشدد يعكس بصدق الحالة المزاجية لدولة لم تعد ترى الغرب كشريك اقتصادي محتمل. أدت إعادة فرض العقوبات الأمريكية في عهد الرئيس دونالد ترامب إلى إضعاف مصداقية الدبلوماسية لدى العديد من الإيرانيين العاديين. ربما تكون واشنطن قد أحكمت الخناق على الاقتصاد الإيراني على أمل إضعاف يد النخبة السياسية فيها - ولكن بدلاً من ذلك، أدت حملة "الضغط الأقصى" التي شنها ترامب إلى تعزيز القوة الاقتصادية والسياسية التي تناضل ضد التسوية في إيران.

www.u-feed.com UfeedCenter@gmail.com - info@U-feed.com +961 1 844 768 / +961 81 791 043 مركز الإتحاد للأبحاث والتطوير Union Center for Research and Development

الآلام الاقتصادية

خلال العامين الأولين من الضغط الأقصى، وحتى قبل جائحة فيروس كورونا الجديد، أدت العقوبات الأمريكية إلى انكماش الاقتصاد الإيراني بنحو 12%، وتراجع نصيب الفرد من الدخل الحقيقي بنسبة 14 %، وصادرات البلاد النفطية بنسبة 80 % .

وفق مسح دخل وإنفاق الأسر الإيرانية، الذي يديره المركز الإحصائي الإيراني، ارتفع معدل الفقر المطلق في البلاد بنسبة 11% بين مارس 2018 ومارس 2020، في حين انخفض متوسط مستوى المعيشة بنسبة 13% على الصعيد الوطني. فقدت العملة الوطنية ما يقرب من ربع قيمتها، مما أدى إلى انخفاض قيمة الحد الأدنى للأجور من 260 دولاراً إلى ما يقرب من 70 دولاراً في الشهر، في حين تضاعفت تكلفة سلة الغذاء من 2100 سعرة حرارية ثلاث مرات تقريباً. في عام 2017، لم يتمكن 27 % من الإيرانيين من تلبية المتطلبات الغذائية اليومية الأساسية البالغة 2100 سعرة حرارية. ارتفعت نسبة السكان الذين يعانون من هذا الحرمان إلى 40% في عام 2019. في هذه الفترة، أنفقت العائلات الإيرانية أقل على التعليم والترفيه، على التوالي، بنسبة 30% و 32%.

غيرت حملة الضغط الأقصى التي شنها ترامب بنية الطبقة الاجتماعية في البلاد عن طريق نقل جزء كبير من الطبقة الوسطى إلى مستوى الفقر. وكانت النتيجة سقوط فكرة التعامل مع الغرب كحل لمشاكل إيران الاقتصادية.

كانت عقوبات ترامب مدمرة تقريباً مرتين عن عقوبات سلفه ، الرئيس باراك أوباما. ولكن نظراً لأن عقوبات ترامب جاءت دون أي حافز أو هدف واضح ، فإنها لم تنتج ضغطًا سياسياً محلياً للتسوية أو التفاوض مع الولايات المتحدة. خلال عقوبات أوباما ، روّج المرشح الرئاسي حسن روحاني لفكرة أن المشاكل الاقتصادية والاجتماعية لإيران مرتبطة بعزلة البلاد وقال إن الدبلوماسية والمشاركة هما المفتاح للتغلب على هذه المشاكل. فاز روحاني بالرئاسة في عام 2013 بناءً على هذه الحجة. لا تبدو مثل هذه الحجة معقولة اليوم.

أثار روحاني توقعات الجمهور حول الفوائد المحتملة للاتفاق، ووفى بوعده لبعض أجزاء من الناخبين الإيرانيين. خلال الاتفاقية النووية لعام 2015، ارتفع معدل النمو الاقتصادي الإيراني بنسبة 17% ، مما أدى إلى خلق 3.5 مليون وظيفة، معظمها للشركات الصغيرة في قطاع الخدمات في المدن الكبيرة. انخفض معدل الفقر في طهران والمدن الكبرى - في حالة طهران، إلى أقل من 20% بعد تنفيذ الاتفاق. مرة أخرى، بناءً على مسح الأسر المعيشية،

www.u-feed.com UfeedCenter@gmail.com - info@U-feed.com +961 1 844 768 / +961 81 791 043 مركز الإتحاد للأبحاث والتطوير Union Center for Research and Development

يمكن اعتبار 45 % من سكان إيران في عام 2017 من الطبقة المتوسطة اقتصادياً - ليسوا فقراء ولا معرضين لخطر الفقر.

لكن إدارة روحاني فقدت أرضية حاسمة في إخفاقها في توزيع فوائد الاتفاق النووي بالتساوي بين مختلف شرائح المجتمع. في المدن والقرى الصغيرة، ظلت البطالة والفقر على نفس المستوى كما كان من قبل. بالنسبة للعائلات الفقيرة في هذه المناطق، لم يؤدِ رفع العقوبات الأمريكية بين عامي 2015 و 2018 إلى توفير وظائف جديدة أو وضع الطعام على موائدهم. ظل معدل الفقر في المناطق الريفية أعلى من 40 % منذ عام 2013، دون تغيير ملحوظ بعد الاتفاق النووي. أدى تدفق العقوبات الجديدة في عام 2018 إلى زيادة أعداد الفقراء الإيرانيين بشكل كبير، من 22 مليوناً إلى 32 مليوناً ، وقلص حجم الطبقة المتوسطة في إيران من 45 % إلى 30 % بحلول مارس 2020. ومن المتوقع أن يرتفع معدل الفقر إلى 45 –48% في عام 2021.

أدى التوزيع غير المتكافئ لفوائد الاتفاق النووي لعام 2015، إلى جانب تنامي الفقر بعد فرض عقوبات جديدة، إلى إبعاد الطبقات الدنيا من المجتمع الإيراني عن أي فكرة مفادها أن الدبلوماسية والمشاركة ستعالج آلامها الاقتصادية. إن حملة مثل تلك التي قام بها روحاني في عام 2013 ستواجه التجربة الصعبة التي مفادها أن حياة الكثيرين في إيران لم تتحسن في البداية، ثم ساءت بعد أن دخلت البلاد في صفقة للحد من برنامجها النووي.

التوحيد السياسي

نجحت إدارة ترامب في تغيير التركيبة الطبقية للمجتمع الإيراني وزيادة مستوى المشقة بشكل كبير في البلاد، ولكن ليس في تحقيق نتائج مفيدة للمصالح الأمريكية. وبدلاً من ذلك ، سرّعت العقوبات الجديدة عسكرة الاقتصاد الإيراني. تعاني الدولة الآن من عجز كبير في الميزانية العامة وتراكمت الديون على المقاولين من القطاع الخاص مما أدى إلى إفلاس العديد منهم. وقد شكل هؤلاء المقاولون الخاصون ما يقرب من 25 % من فرص ا لعمل في إيران في العقود الأخيرة. لقد كانوا أيضًا أحد المصادر الرئيسية لتمويل السياسيين ذوي العقلية الإصلاحية على مدى السنوات الخمس والعشرين الماضية. الآن معظم كبار المقاولين من القطاع الخاص قد أفلسوا، ومقر شركة خاتم الأنبياء للإنشاءات ومؤسسة جهاد البناء، وكلاهما تابعان للحرس الثوري الإسلامي IRGC، قد دخلوا في أسواقهم. بينما في العامين الماضيين، أعلنت 13 شركة من أصل 14 شركة خاصة لإنشاء

www.u-feed.com UfeedCenter@gmail.com - info@U-feed.com +961 1 844 768 / +961 81 791 043 مركز الإتحاد للأبحاث والتطوير Union Center for Research and Development

الطرق إفلاسها، أعلن المقر الرئيسي لشركة خاتم الأنبياء للإنشاءات أن عدد مشاريع بناء الطرق قد تضاعف منذ عام 2019.

انتهز الحرس الثوري الإيراني الفرصة ليجعل نفسه لا غنى عنه اجتماعيًا واقتصاديًا. خلال انزلاق إيران إلى المحنة، دخلت المعسكرات الطلابية الخيرية التابعة للحرس الثوري الإيراني في مسار الاختراق، ووسعت قاعدتها الاجتماعية من خلال توفير الإغاثة والدعم المجتمعي في المناطق الفقيرة. قام الحرس الثوري الإيراني بقمع النشطاء المستقلين ومنظمات المجتمع المدني القمعية مثل جمعية إغاثة الطلاب الشعبية ثم أخذ على عاتقه توزيع طرود الطعام على ملايين الأسر المحرومة. استغل الحرس الثوري الإيراني هذه المتغيرات لتقويض مصداقية إدارة روحاني، مدعياً أنه بدلاً من معالجة الفقر، كما كانت تفعل الحملة شبه العسكرية، كان روحاني يهدر الوقت والطاقة في محادثات نووية غير مجدية.

تُترك الآن النخب السياسية الإيرانية، وخاصة الإصلاحيين، للإجابة على بعض الأسئلة الصعبة من الجمهور الذي أصبح يرى العقوبات التي لا تنتهي أبدًا كعنصر محدد في سياسة الولايات المتحدة تجاه إيران. هل يستطيع مؤيدو المشاركة ضمان ألا يؤدي حل المخاوف بشأن برامج إيران النووية والصاروخية، على سبيل المثال، إلى دفع الأمريكيين إلى اعتماد حجة جديدة من أجل إعادة العقوبات؟ من غير المرجح أن تجتذب دولة معرضة باستمرار لخطر العقوبات الأمريكية استثمارات أجنبية كبيرة. فهل من المنطقي حقًا الدعوة إلى التعامل مع الغرب - لا سيما بالنظر إلى أن صندوق النقد الدولي قد توقع عودة إيران إلى النمو بنسبة 3.2% في عام 2021، حتى في ظل القيود الحالية؟

لم يقم المتشددون الإيرانيون بتعزيز قوتهم الاقتصادية فحسب، بل نجحوا في إلقاء الشك تجاه حكمة المشاركة الدبلوماسية كوسيلة لتحسين حياة الناس العاديين. تجادل الفصائل السياسية المتشددة، من خلال وسائل الإعلام الرئيسية التي تسيطر عليها، بأن "المقاومة"، وليس الانخراط، ستسمح لإيران بفرض صفقة أفضل: صفقة ستضطر فيها الولايات المتحدة أخيراً إلى الاعتراف بحقوق إيران كقوة ناشئة في الشرق الأوسط.

أولئك في الولايات المتحدة الذين يعارضون رفع العقوبات مقابل الامتثال الإيراني يعززون عن غير قصد الرواية الإيرانية المتشددة بأن نهج ترامب كان القاعدة وليس الاستثناء فيما يتعلق بالسياسة الأمريكية. وفقًا لهذا الفهم ، ستظل العقوبات الاقتصادية جزءًا لا يتجزأ من سياسة الولايات المتحدة تجاه إيران بغض النظر عن

www.u-feed.com UfeedCenter@gmail.com - info@U-feed.com +961 1 844 768 / +961 81 791 043 مركز الإتحاد للأبحاث والتطوير Union Center for Research and Development

هوية الرئيس وما إذا كانت طهران تسعى إلى المشاركة أم لا. في الواقع، لكبح برنامج إيران الصاروخي وتأثيرها الإقليمي، ستسعى الولايات المتحدة لبناء المزيد من النفوذ الاقتصادي، من خلال المزيد من العقوبات. يلوح معارضو الانخراط في طهران بهذا الاحتمال لإثبات أن الولايات المتحدة لا تفي بالتزاماتها - بل إنها تلعب لعبة لا نهاية لها. الحقيقة هي أن الظروف تغيرت منذ عام 2015 لكلا البلدين. لقد جعلت سياسة ترامب المدمرة للذات من التسوية أقل جاذبية وأكثر تكلفة بالنسبة لإيران.

عن المؤلف

هادي كحلزاده هو دكتور زميل في مركز كراون لدراسات الشرق الأوسط. ومرشح في السياسة الاجتماعية في مدرسة هيلر في جامعة برانديز. عمل كخبير اقتصادي في منظمة الضمان الاجتماعي الإيرانية من 2002 إلى 2011.

www.u-feed.com UfeedCenter@gmail.com - info@U-feed.com +961 1 844 768 / +961 81 791 043 مركز الإتحاد للأبحاث والتطوير Union Center for Research and Development